Journal of Alasmarya University
Volume 11, June 2009

مجلة الجامعة الأسمرية
المجلد الحادي عشر، يونيو 2009

الطريقة العروسية والإمام الأسمر قدس الله سره

أ. علي محمد مختار جوان*

توطئة وتقديم

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين وإمام المتقين سيدنا ومولانا محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين وصحابته الغر الميامين، وبعد.

ففي النصف الثاني من القرن التاسع وأوائل القرن العاشر الهجري برز في شمال أفريقيا علمان من أعلام التصوف كوّن كل منهما طريقة صوفية انتسب إليهما أعداد هائلة من المريدين هما الإمام سيدي محمد بن عيسى[1] مؤسس الطريقة العيساوية في المغرب، والإمام أحمد بن عروس مؤسس الطريقة العروسية في تونس، غير أن الطريقة العروسية انتشرت من ليبيا على يد الإمام الأسمر انتشارا واسعا كما بشر بذلك الإمام ابن عروس، وتحول مركز الدعوة للطريقة العروسية منذ ذلك الحين إلى مدينة زليتن.

وضمنت هذا البحث ترجمة لثلاثة مشايخ من مشايخ هذه الطريقة، وأهم الأدوات التي يتوصل بها المريد إلى درجة الكمال البشري وهي: الأوراد والأحزاب والوظائف والسماع وقبل كل ذلك الحاجة إلى شيخ مربٍ. كما تحدثت عن سند هذه الطريقة من حيث: سند التلقين وسند لبس القلنسوة وسند لبس الخرقة وسند لبس المرقعة وسند المصافحة. وتحدثت عن انتشار هذه الطريقة إبّان حياة الإمام الأسمر، وتكلمت عن

---

* باحث في شؤون التصوف، زليتن.

1- الشيخ الإمام محمد بن عيسى الإدريسي الحسني الشريف، ولد عام 872 هـ، وتوفي سنة 933 هـ.

شروط الدخول في الطريقة العروسية كما بيّنها الإمام الأسمر، وأشرت إلى أهمية وفضل الطريقة العروسية كما نوه بذلك الإمام الأسمر.

الفرق بين الطريقة والطريق

الطـريقة هـي سـبيل يسلكه ثلة من المريدين يعتمدون على مجموعة من الأوراد والأحـزاب والأذكـار في صحبة شيخ مربٍ للوصول إلى درجة الإحسان؛ قال الإمام عبد الحليـم محمود في سياق حديثه عن الفرق بين الطريق والطريقة: « إن عبد السلام[2] ﷺ له طريق، وليس له طريقة. إنه كان مبتعدا عن الناس، لا يعطي عهوداً، ولا يكلف أوراداً، ولا أحـزابا، فلـم يؤسـس طـريقة، وإنمـا كـان يرسـم في كل لحظة من لحظات حياته الطريق، والطريقة هي الطريق الشرعي »[3].

ومـن هنا يحق لنا أن نتساءل هل العروسية تعتبر طريقة؟ فإذا كانت الإجابة بنعم فمـن هـو مؤسـسها؟ وعلـى يـد مـن اكـتمل نمـوها وانتشارها، وما سندها وأين أماكن انتشارها؟

وبالمواصـفات الـتي وضـعها الـشيخ عـبد الحلـيم محمـود نعـم تعتبر العروسية طـريقة؛ لاستيفائها مواصفات الطريقة وذلك لأن لها شيوخا وأحزابا وأورادا أضف إليها الوظائف والحضرة أو ما يعبر عنها بالسماع.

أولا: الشيخ المربي

تحـدث الإمـام الأسمـر علـى مـدى احتياج المريد إلى شيخ فقال: « ويختلف ما ذكـرناه مـن المجاهـدة والرياضـة باختلاف الأشخاص، فرب شخص ذكي الفطرة كريم الـسجية سـهل المقادة لا يحتاج في ذلك إلى كبير معاناة ولا تعب، ورب شخص يكون حاله على عكس هذا فلا جرم يحتاج إلى زيادة تعب وقوة ممارسة وشدة مجاهدة لرداءة فطـرته ونقـصان غريـزته وبـين هـذين درجات لا تحصى، ولهذا كله يحتاج المريد إلى صـحبة المـشايخ والتأدب بآدابهم، واتباع أوامرهم ونواهيهم؛ لأنه إن لم يجر أفعاله على

2- هو الإمام عبد السلام بن مشيش ﷺ وهو شيخ الإمام أبو الحسن الشاذلي ﷺ، د.عبد الحليم محمود، القطب الشهيد سيدي عبد السلام بن بشيش، مؤسسة دار الشعب، (د، م)، صفحة 13.

3- عبد الحليم محمود، القطب الشهيد، صفحة 43.

مـراد غـيره لا يـصلح لـه الانـتقال عن الهوى ولو بلغ في المجاهدة والرياضة كل مبلغ؛ وذلك لكثافة حجابه لنفسه»[4].

وقـد تحـدث الإمام الأسمر بإسهاب عن شروط الشيخ المربي وعن آداب المريد في رسالته إلى سوس الأقصى[5].

ثانيا: الأوراد[6]

دوّن الإمـام الأسمـر الأوراد العروسـية ورتبها كلا حسب قدرته وسعة وقته فقال: « وأمـا الورد فكل منكم له ورد يخصه، فورد المتجردين: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [آل عمـران: 18] مرة، ثم: لا إله إلا الله. أثنى عشر ألـف مـرة، وقـبل ذلك تبدؤون بالتعوذ والبسملة: ﴿وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًاۚ وَٱسْتَغْفِرُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [المـزمل: 20] مـرة، ثم: « استغفر الله العظيم الذي لا إلـه إلا هـو الحـي القيوم وأتوب إليه» مائة مرة، ثم: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴾ [الأحـزاب: 56] مـرة، ثم: اللهم صل علـى سيدنا محمد عبدك ونبيك ورسولك النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم تسليما. ألـف مـرة، وأثنـى عـشر تسليمة في جوف الليل، ويدعو بعدها ويسأل الله ما يريد، وإن كـان ممـن يقـرأ القـرآن يقـرأ كـل يوم عشرة أحزاب بين الليل والنهار في صلاة أو بلا صلاة، ويحمد الله بعد تمام كل ذكر ثلاثا.

وورد الطلـبة والفقهـاء والمـشتغلين بتعلـيم العلـم والنسيخة والنساخين وما أشبه ذلـك: الـتعوذ والبـسملة وآيـة الاستغفار. مرة، ثم: استغفر الله العظيم الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه، مائة مرة، ثم: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴾ [الأحزاب: 56] مرة، ثم: اللهم صل على سيدنا محمد الـنبي الأمـي وعلى آله وصحبه وسلم تسليما، خمسمائة مرة، ثم: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [آل عمـران: 18] مرة، ثم: لا إله إلا الله محمد رسول الله ﷺ، ألف مرة، وخمسة أحزاب كل يوم بين الليل

4- علي مَحمد مختار جوان، نفح الرياحين من رسائل سلطان العارفين، (د، م)، 2007، صفحة 31.

5- من أراد التوسع فليرجع إلى تلك الرسالة الموجود بالمصدر السابق.

6- الوِرد كل ما يواظب عليه من وظائف كالصلاة والصوم والأذكار.

والـنهار لمـن يقرأ القرآن في صلاة أو بلا صلاة، وخمس تسليمات في جوف الليل غير الشفع والوتر، ويصلي بعد صلاة العشاء وختم دلائل الخيرات كل يوم جمعة. ويقولون: الحمد لله ثلاثا عند تمام كل ورد.

وورد أصـحاب الفلاحـة والاشـتغال: الـتعوذ والبـسملة وأيـة الاستغفار مرة، ثم: اسـتغفر الله العظـيم الـذي لا إلـه إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه. مائة مرة ثم: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴾ [الأحزاب: 56]، ثم: اللهم صل على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم تسليما، خمسمائة مرة، ثم: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلۡعِلۡمِ قَآئِمَۢا بِٱلۡقِسۡطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴾ [آل عمـران: 18] مـرة، ثـم: لا إلـه إلا الله محمـد رسول الله ﷺ، ألف مرة، وبسم الله الرحمن الرحيم ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، ألف مرة.

فإذن ورد كل صنف وحده، وأما الأذكار التي يذكرونها كلهم فهي: بعد أن تختموا وردكـم فاسـتغفروا الله العظـيم لـي ولكـم ولـوالدي ولجمـيع المؤمـنين والمؤمـنات والمسلمين والمسلمات الأحياء منهم والأموات سبعا وعشرين مرة»[7].

ثالثا: الأحزاب[8]

إن للطريقة العروسية ثمانية أحزاب؛ أربعة للإمام الأسمر وأربعة للإمام الشاذلي، أوصـى بقـراءتها الإمـام الأسمـر، والأحـزاب الـتي للإمـام الأسمـر هي: الحزب الكبير، وحـزب الطمـس، وحزب الخوف، وحزب الفلاح، وقد حث الإمام الأسمر على حفظها وتلاوتها فقال: «وأما أحزاب الإمام الشاذلي التي أوصى بها الإمام الأسمر فهي: الحزب الكبير، وحزب البحر، وحزب الفتح، وحزب النصر»[9].

7- محمد مخلوف، تنقيح روضة الأزهار ومنية السادة الأبرار في مناقب سيدي عبد السلام الأسمر، مكتبة زهران القاهرة، 1977، صفحة 184.

8- قال الإمام زروق في مقدمة شرحه لحزب البحر: فأما حقيقة الحزب في الاصطلاح مجموعة أذكار وأدعية وتوجيهات وضعت للذكر والتذكير والتعوذ من الشر وطلب الخير واستنتاج المعارف وحصول العلم مع جمع القلب على الله سبحانه.

9- للمزيد يراجع الأنوار السنية والمنن البهية في طريق أهل الله الصوفية للإمام الأسمر تحقيق الشيخ صالح الجعفري، دار الطابعة المحمدية القاهرة طبعة سنة 1964، صفحة 32.

رابعا: الوظائف[10]

أوصى الإمام الأسمر بقراءة وظيفته ووظيفة الإمام أحمد زروق فقد جاء في الوصية الصغرى: « وفي الصباح والمساء تقولون وظيفة الشيخ العارف بالله أبي العباس أحمد زروق ... »[11]. وَوَرد في كتاب الإمام الأسمر الأنوار السنية والمنن البهية في طريق أهل الله الصوفية: « ومما أنعم الله به علي مواظبتي لوظيفتي والوظيفة الزروقية بعد صلاة الصبح وبعد العصر »[12].

خامسا: الحضرة أو ما يعبر عنه بالسماع

يقول الإمام الأسمر عنها: « إخواني: فافهموا أن الحضرة في الحقيقة هي حضور القلب مع الله تبارك وتعالى، وأما في الاصطلاح واللغة هي السماع ويعبرونه بالحضرة لحضور الإخوان واجتماعهم للذكر »[13]. وقد وضع الإمام الأسمر للحضرة شروطا فقال: « وللحضرة شروط وأعذار وحقائق وفضائل وآداب وتداول ... »[14]. وقد حثّ الإمام الأسمر بالمحافظة عليها فقال: « إخواني: فالحضرة هي نصف الورد والطريقة عند العروسيين؛ فمن أقامها فقد أقام الورد والطريقة، ومن تركها فقد ترك الورد والطريقة ... إخواني فلا يحل لأحد منكم أن يتخلف عن الحضرة من غير عذر ... إخواني من حافظ على الحضرة حفظه الله، ومن تخلف عنها وبقى يتهاون ويتراخى فهو مطرود مبعود »[15].

وقد شُرعت الحضرة لأهل الطريقة العروسية للوصول بالمريد أو الفقير إلى التوحيد الخالص أي خروج الأكوان من قلب الفقير[16]. كما ورد في الوصية الصغرى

10- استقطاع وتوظيف جزء من الوقت للذكر.

11- محمد مخلوف، المصدر السابق، صفحة 187.

12- الإمام الأسمر، الأنوار السنية والمنن البهية، صفحة 32.

13- الإمام الأسمر، الوصية الكبرى، مكتبة إحياء الكتب العربية طرابلس، الطبعة الثانية سنة 1971، صفحة 43.

14- المصدر نفسه، صفحة 42.

15- المصدر نفسه، الصفحة 45.

16- وقد أوضح الإمام الأسمر الصفات التي يجب أن تتوفر في الفقير حتى يصبح الفقير كاملا فقال: لا يكمل الفقير إلا بالعلم والورع والزهد والصبر والصمت، ويكون محبا لجميع الناس مشفقا عليهم ساترا لعوراتهم، فإذا ادعى الكمال وهو على خلاف ما ذكرناه فهو كاذب. الإمام سالم السنهوري، النور النائر، مخطوط في مكتبة السيد الوالد مَحمد مختار جوان بزليتن، وهو الآن قيد التحقيق.

للإمـام الأسمـر: «ومن شروطها تطييب المجلس بالطيب لأجل حضور الجن والملائكة ورأس ثمـرتها خـروج الأكـوان كلـها مـن القلـب جملة وتفصيلا؛ لأنها ما شرعها أهل الطـريقة إلا للفقـراء المبـتدئين لكـي تخرج الأكوان من قلوبهم بسبب ذكرهم فيها؛ لأن الذكـر مـن أفـواه كـثيرة لـه تـأثير قـوي في القلب فافهموا، وأما المنتهي في الطريقة فلا يحـتاج إلى دخـولها؛ لأن قلبه في حضرة القدس دائما، وهي حضور القلب مع الله على الـدوام، ولا يغفل عن مولاه طرفة عين، فهذا حال المنتهي، ولا يدخل الحضرة إلا لكي يـنفع الفقـراء؛ لأنهـم إذا ذكـروا مـع صـاحب هـذا المقام خرجوا من الغفلة في الحين، ومـثلهم مـع المنتهـي كمـثل رجـل دخـل بيتا فوجد فيه رجالا نائمين، فلما دخل البيت قال:(الله، الله، الله.) بصوت قوي فاستيقظ كل من في البيت، فهذا حال المنتهي في الطريقة مع المبتدئين فعليكم بالقرب من أهل الله كلهم، تنتفعوا»[17].

وحذّر الإمام الأسمر من الحالة النفسية التي يكون عليها المريد أو الفقير وهو أن يـستلذ بالموسـيقى الـصادرة مـن الذكر الجماعي ويسرح بعقله عن جوهر الذكر، وهو استحـضار عظمـة المـولى سـبحانه وتعـالى وهـو في الحضرة، أو يكون قلبه سارح في الدنـيا، كما حث الإمام الأسمر الفقير على الحلم مع أخيه أثناء الحضرة إن حصل سوء خلق منه فقال: «وخذوا حذركم من الحركة النفسانية في الحضرة، وهي أن يترك الفقير وهـو يهتـز وقلـبه محـشو بالأكـوان، فافهمـوا، فـإن الـنفس لهـا طرب شديد عند اعتدال الأصـوات، فـإذا مالـت في الحـضرة إلى اسـتماع الأصـوات فـردوا قلـوبكم للـذي خلق الأصـوات سـبحانه وتعـالى، خـذوا حـذركم مـن أن يغضب أحد من أحد في الحضرة، فإنكم لن تنالوا شيئا»[18].

وقت الحضرة

قـد حـدد وقـت عمـل الحضرة ليلة الاثنين وليلة الجمعة[19] من كل أسبوع قال

17- محمد مخلوف، المصدر السابق، صفحة 183.

18- المصدر نفسه، صفحة 183.

19- الآن في زاوية سيدي عبد السلام الأسمر وهي اليوم فيها المشيخة العامة للطريقة العروسية ترسم الحضرة يوم الجمعة بعد صلاة الجمعة لا ليلة الجمعة ومسوغ الحضرة يوم الجمعة هو ما فعله شيخنا الإمام أبو رأس وهو شيخ شيخنا الأسمر حينما كان في القرويين فقد أشار إلى ذلك الإمام الأسمر في وصيته الكبرى صفحة 43 ما نصه: «أخبرني أيضا شيخنا أبو رأس مخبرا عن نفسه على مهاجرته بمدينة فاس بالجامع الكبير المعروف بالقرويين إلى أن قال: فالحضرة في وسطه في داخل =

الإمـام الأسمـر: «وأمـا وقـتها الـذي تعملونها فيه فهو ليلة الاثنين وليلة الجمعة من بعد صلاة العشاء إلى الفجر، ذلك كله وقتها فاعملوها فيه متى شئتم»[20].

ولا بـد لـي وأنـا بـصدد الحـديث عـن الطـريقة العروسية أن أتحدث عن الإمام المؤسـس أحمد ابن عروس[21]، والإمام الذي اكتملت على يديه وانتشرت تلك الطريقة ألا وهـو الإمـام عـبد الـسلام الأسمـر وقـد أسـهبت في الكتابة عن الإمام الأسمر لثلاثة أسباب:

السبب الأول: نظرا لأن كتابته هي المصدر الوحيد على ما أعلم للمعلومات عن الطريقة العروسية.

السبب الثاني: لإسهاماته الكثيرة في وضع الأحزاب وتوظيف الوظائف لهذه الطريقة.

السبب الثالث: انتشارها على يديه كما بشر بذلك الإمام المؤسس.

الإمام المؤسس

مؤسس الطريقة العروسية هو «الإمام أحمد بن عبد الله بن محمد بن أبي بكر ابن عـروس الهـواري ﷺ، إمـام عصره بلا منازع ولد بقرية الجزيرة القبلية على مسافة: 50 مـيلا مـن تـونس، رعـته العـناية الإلهية منذ نعومة أظفاره حيث فر وهو صغير من أهله ولجـأ إلى زاويـة سـيدي الـشيخ عـبد الله محمـد المحجوب، وصار يقرأ القرآن باللوح، ويخـدم الـزاوية أثناء وقت فراغه، ثم انتقل إلى زوايا أخرى، حفظ القرآن على يد الشيخ

=

المسجد وعلماؤها في وسطه ويذكرون ويتمايلون وعمائمهم ساقطة على مناكبهم وفيهم الأئمة الأربعة (فالأول) الشيخ عبد الرحمن الأنصاري المالكي (الثاني) الشيخ عبد الكريم بن جابر الحنفي (الثالث) الشيخ إبراهيم بن مروان الأندلسي الشافعي (الرابع) الشيخ محمد بن أحمد بن عمران الحنبلي، ولم أر في الناس مثلهم في الفصاحة وكثرة العلم والإتباع والتحفظ على الديانة، وكان ذلك اليوم نهار الجمعة بعد الصلاة فأصابني حال عظيم حتى كاد عقلي أن يزهق فمكثت بالجامع المذكور خمسة أعوام إلى أن ختمت المختصر خمسة ختمات وكذلك المعقول وغيره من العلوم الرقائق ولم نفتر عن على الاجتهاد في العلم من حين بلغت في الجامع المذكور ولم تفارقني الحضرة في كل يوم جمعة إلى أن رجعت إلى بلادي القيروان».

20- محمد مخلوف، المصدر السابق، صفحة183.

21- قال الشيخ أحمد القطعاني في كتابه حراس العقيدة صفحة 42 «على ذكر ولي الله سيدي عبد السلام الأسمر ربما نقول: إنه أخذ عن هذا الأستاذ الجهبذ علم الظاهر فهو أيضا إليه ينتسب في طريق القوم إذ أخذ عنه الطريقة العروسية المنسوبة لسيدي أحمد ابن عروس».

أبي عبد الله محمد الحسيب بقراءة ورش، وكان يحضر دروس الشيخ أبي محمد عبد الله الباجي ثم عمل في أشغال عدة منها النجارة والبناء والأفران، كما عمل مؤدبا للصبيان، كان يأكل من المنبوذات من الخضر وباقي أنواع الأطعمة ولكنه لا يتسول، وكان حيثما حل يقوم بخدمة المكان الذي يحل به، اتجه غربا، وأقام في تلمسان بمقام سيدي أبو مدين فترة، ثم واصل ترحاله حتى وصل إلى المغرب الأقصى وأقام هناك فترة طويلة حتى كمل علمه الظاهر، وأشرق نور الله في علمه الباطن، فقفل راجعا إلى تونس وكان في هذه الفترة حسن الهيئة نظيف الحال يلبس جبة بيضاء ويحضر الأوقات الخمسة في جامع الزيتونة »[22]. قال عنه الإمام الأسمر في ترجمته له: « عاش مائة كاملة وخمسة عشر عاما، ومات بمدينة تونس وقبره مشهور يزار، وعليه قبة، ومقام عظيم، وهو من أكابر أهل وقته، ويقرأ القرآن على تسعة عشرة رواية ويحفظ المختصر والرسالة ويتلوهما كما يتلو القرآن، وكان يحفظ الحكم وتاج العروس وابن عباد وغيره، وله في كل علم طريق وفهم، واسمه معروف لا يجهله أحد من الناس وهو من تلاميذ الشيخ فتح الله العجمي ﷺ »[23]. وقال عنه في موضع أخر: « لو كانت النبوءة تنال بالمجاهدة والعبادة لنالها سيدي أحمد ابن عروس »[24]. « وله كرامات لا تحصى، توفي يوم السبت: 8 من شهر رجب سنة: 868 هـ، وصلى عليه إمام جامع الزيتونة الشيخ الفقيه الصالح المتفق على كمال فضله ودينه، أبو العباس أحمد المسراتي »[25].

وهكذا نرى أن الطريقة العروسية قد أسسها عالم من علماء القراءات وفقيه من فقهاء العصر وعابد من عباد زمانه وصوفي متمكن من أدواته.

وقد بشر الإمام ابن عروس بظهور الإمام الأسمر، جاء في تنقيح روضة الأزهار: « وقال يحي المذكور كنت أسمع سمعا مستفيضا على ألسنة أهل العدل وغيرهم أن سيدي أحمد ابنِ عروس كان يقول سيظهر بطرابلس الغرب رجل يعرف بعبد السلام فاتحا لهذه الطريقة ومُشهرها، ويكون له شأن عظيم على أهل زمانه وهو خامس خليفة من بعدي »[26].

22- عمر الرشيدي الجزائري، كتاب ابتسام الغروس ووشي الطروس في مناقب أحمد ابن عروس، بتصرف.

23- الإمام الأسمر، الوصية الكبرى، المصدر السابق، صفحة 83.

24- المصدر نفسه، صفحة 83.

25- عمر الرشيدي الجزائري، ابتسام الغروس ووشي الطروس في مناقب أحمد ابن عروس بتصرف.

26- محمد مخلوف، المصدر السابق، صفحة 79.

الإمام الأسمر وأثره في الطريقة العروسية

ويصدِّق الله سبحانه وتعالى بشارة الإمام ابن عروس؛ لأن المؤمن يرى بنور الله سبحانه وتعالى، ويُظهر الله سبحانه وتعالى إلى الوجود الإمام الأسمر، فقد ولد الإمام الأسمر في زليتن سنة: 880 هـ، من أبوين كريمين من آل بيت الرسول الكريم ﷺ، توفى أبوه وهو «ابن سنتين وشهرين»[27]، فتولت العناية الإلهية الإمام الأسمر منذ نعومة أظافره فأكرمه المولى سبحانه وتعالى بحفظ القرآن وعمره سبع سنين فقد جاء في تنقيح روضة الأزهار: «تولى أمره والقيام بشؤونه في صغره عمه أبو العباس أحمد بن محمد الفيتوري وكان يحبه وينصحه ويألف إليه ويلبسه الثياب الثمينة ووضعه في المكتب يقرأ القرآن إلى أن حفظه وهو ابن سبع سنين وصار من الماهرين فيه ويقرأه على أحسن هيئة بضبط وتجويد، وكان مع قوة حفظه لا يقرأه إلا في المصحف»[28].

وبعد حفظه للقرآن انتقل إلى تعلم العلوم اللغوية والشرعية، فتعلم علم النحو والمنطق والتوحيد والفقه على عمه أبي العباس أحمد الفيتوري وبذلك فعمه أحمد أول مشايخه، ثم أخذه عمه أحمد إلى الشيخ الدوكالي ويحدثنا الإمام الأسمر عن هذه الفترة من حياته فيقول: «بعد انتهائي من حفظ القرآن ومعرفة ما يصلح بي من أمر ديني توجه بي عمي أحمد الفيتوري رحمه الله إلى الشيخ الكبير الشهير الولي الصالح الإمام القدوة أبي محمد عبد الواحد بن محمد الدوكالي الزعفراني دارا وقبرا بمسلاتة من عمل طرابلس ففرح بي فرحا عظيما وقال مرحبا بأبي العباس وابن أخيه عبد السلام بن سليم، وذكر نسبي إلى النبي ﷺ من أبي وأمي ولقنني الذكر وأذن لي في الصحبة والنسبة إليه والتزمني حتى قال اعتمادا على فضل الله بعد اعتذاره بالتقصير، وكان من الخائفين الله كثيرا، وألبسني الخرقة وقلنسوة من قلنسواته ومرقعة من مرقعاته وأمرني بالمكث لخدمته فمكثت عنده سبع سنين مُجدا في خدمته إلى أن فتح الله علي بمنه وكرمه على يديه، وهو أستاذي ووسيلتي إلى ربي وعنه أخذت ومنه انتفعت»[29].

استمر الأمام الأسمر يغترف من علوم شيخه الدوكالي ويترقى علي يديه من درجة الإسلام إلى درجة الإيمان حتى أوصله إلى درجة الإحسان في مدة سبع سنين،

27- الإمام الأسمر الأنوار السنية والمنن البهية، المصدر السابق، صفحة 17.

28- محمد مخلوف، المصدر السابق، صفحة 81.

29- الإمام الأسمر، الأنوار السنية والمنن البهية، المصدر السابق، صفحة: 3، 4.

وقد أشار الإمام الأسمر لتلك الفترة من تعلقه بالعلم وتحصيله المنقطع النظير بقوله: « ومما أنعم الله به علي كنت من صغري مستغرق الأوقات في تعلم علم الظاهر حتى حصلت منه ما يسره الله سبحانه وتعالى، وحصل لي به في بلادي وغيرها صيت عظيم وجاه في الخلق »[30]. وبعد أخذ ما قسمه الله له من معين الشيخ الدوكالي، وعَلِم الشيخ الدوكالي ارتواءه من العلم ورسوخ قدمه في الولاية خاطبه قائلا: « يا عبد السلام اذهب لتنتفع بك الناس الشيخ ما يخدم شيخا وودعني فمشيت من عنده لنطلب الاستخدام عند غيره من المشايخ فكل من نأتيه منهم بنية الخدمة يمتنع مني إلى أن بلغت إلى ثمانين شيخا »[31]. ومن هنا نرى أن الإمام الأسمر لم يكتف بما حصل عليه من علوم ومقامات على يد شيخه الإمام الدوكالي بل تنقل من شيخ إلى شيخ حتى وصل إلى ثمانين شيخا؛ وكل شيخ حالما يتعرف على غزارة علمه ورسوخ قدمه يمتنع عن تخديمه وتعليمه.

وتحدث الإمام الأسمر عن الكتب التي كان يحفظها عن ظهر قلب في كتابه الأنوار السنية والمنن البهية: « ومما أنعم الله به علي حفظي التوراة والإنجيل والزبور والقرآن والبخاري ومسلم ومختصر خليل والرسالة والمدونة »[32]. وكان لا يفتر عن الإملاء حتى قال عنه تلميذه عبد الكريم البرموني في صغيره: « كان له أربعون كاتبا معتنيين ومتجردين لكتابة كلامه؛ منهم سبعة لا يفارقونه إلا وقت النوم والطهر، وقد كتبوا من مقطوعاته، وكلامه النثر في التصوف وغيره شيئا كثيرا لا يمكن حصره ... وما كتبه بخط يده من التآليف والنصائح فهو أمر لا يحصى وقد انتقل كثيره في يوم قتل المغاربة لسيدي عمران الذين رئيسهم يحي الزرهوني ونهبهم الزاوية »[33]. وقدم لنا مريده عبد الرحمن المكي كيف كان الأسمر قدس الله سره يقضي يومه وما العلوم التي كان يدرسها لتلاميذه ومريديه فقال: « فقد كان يبدأ التدريس بعد صلاة الضحى يلقي دروسا في التوحيد إلى صلاة الظهر، وبعد صلاة الظهر يلقي دروسا في المختصر والرسالة إلى صلاة العصر، ثم يشرح الحكم العطائية وتاج العروس إلى المغرب، ثم

30- الإمام الأسمر، الأنوار السنية والمنن البهية، المصدر السابق، صفحة31.

31- المصدر نفسه، صفحة 14.

32- المصدر نفسه، صفحة 18.

33- عبد الكريم البرموني، روضة الأزهار ومنية السادة الأبرار، مخطوط في مكتبة السيد الوالد مَحمد مختار جوان بزليتن.

يلقي دروسا في علم النحو والمعقول إلى العشاء»[34]. وهكذا كان يبدأ يومه بإلقاء الدروس لا يفصلها عن بعضها إلا الصلاة وفي شتى العلوم.

قال عنه تلميذه الإمام سالم السنهوري[35] في كتابه النور النابر: «كان رحمه الله من أجل المشايخ وله شأن عظيم في علم الحقيقة والطريقة ... وكان ﷺ يأتونه الناس من أقطار الأرض ويخرج بصحبته جملة من المشايخ لا يحصون، وقد أخذنا عنه التلقين وخدمناه وانتفعنا منه جازاه الله عنا خيرا»[36]. وقال الشيخ عبد الرحمن المكي[37] في صغيره: «العالم العلامة سيدي عبد السلام بن سليم الفيتوري الحازمي الزليتني المشهور بالمشرق والمغرب وهو أحسن الجماعة حالا وأصحهم خبرا ومنهاجا ومآلا وأصدقهم حجة ومقالا، وبالجملة فهو من أكابر أهل عصره علما وعملا واتباعا لأصحاب رسول الله ﷺ»[38]. وهذان علمان من أعلام العلوم الشرعية في مصر الأزهر، ومكة المكرمة.

وكان الإمام الأسمر يقرض الشعر الصوفي الفصيح والعامي وعلى أوزان مختلفة كأوزان ابن الفارض[39] والششتري[40] والجعراني[41]، قال الإمام سالم السنهوري في

34- عبد الرحمن المكي،مخطوط الصغير، مخطوط في مكتبة السيد الوالد مَحمد مختار جوان زليتن.

35- أبو النجاة سالم بن محمد السنهوري مفتي المالكية بمصر وعالمها الإمام الكبير ومفتيها ومحدثها الشهير خاتمة الحفاظ باتفاق إليه الرحلة من الآفاق اجتمع فيه من العلوم ما لم يجتمع في غيره مولده بسنهور أخذ عن الإمام الغيطي الإسكندري وعن الإمام الكبير البنوفري المالكي، وأخذ عنه الجم الغفير من الذين لا يحصون من أهل مصر والشام والحجاز والحرمين، وله مؤلفات كثيرة منها حاشيته على شرح على مختصر الشيخ خليل، توفي 1015 وعمره نحو سبعين.

36- سالم السنهوري، المصدر السابق، صفحة 32.

37- الشيخ الفقيه العالم العلامة عبد الرحمن بن علي المكي ﷺ: كان فقيها محدثا متقنا علامة من شيوخ العصر أدرك الشيخ شمس الدين اللقاني ﷺ وتفقه بالشيخ الناصر اللقاني ﷺ وأخذ الحديث عن الشيخ نجم الفيطي ﷺ ودرس وأفتى واشتهر اسمه بمكة وغيرها وتصرف ثم بعد ذلك اجتمع بالإمام سيدي عبد السلام الأسمر قدس الله سره وأخذ عنه وبه انتفع وهو مما أخبر بكثير من كرامات الشيخ، وجمع منها تصانيف عديدة كبيره سماه «بالبحر الكبير في مناقب صاحب البندير»،.حج مرارا بعد صحبته للشيخ، وتوفي بالبقيع وهو قاصد الحج ودفن هناك في أوائل جماد الثاني سنة 998 هـ رحمه الله.

38- صغير عبد الرحمن المكي، المصدر السابق.

39- عمر بن الفارض: أبو حفص أو أبو القاسم عمر ابن أبي الحسين علي بن المرشد ابن علي ﷺ، الحموي الأصل المصري المولد والوفاة، له ديوان شعر لطيف وأسلوبه رائق ظريف، ينحو منحى طريقة الفقراء، ولد في القاهرة سنة 576 هـ وتوفي سنة 632 هـ.

هذا الصدد: « قالت المشايخ سماع كلام الصالحين ينتفع به ولو كان ملحونا لأن سرهم ممـزوج مـع كلامهـم ﷺ ونفعنا ببركاتهم، اعلم يرحمك الله أن هذا الشيخ له نظم شائع علـى طـريق الرجز وغيره وموشحات طريفة سبك فيها أسرار أهل الطريق، وله نصائح مـنها مـا هـو علـى مـوازين العروض العربية المشهورة عند النحات، ومنها ما كان على مـوازين ابـن الفـارض ومـوازين الشـشتري ومـوازين الشيخ يوسف الجعراني وغيره من المـشايخ، قال الحفيد في ترجمة كتابه المشهور بالبحر في جمع مناقب صاحب البندير بعـد كلام كثير إن للشيخ الذي هو سيدي عبد السلام مقطوعات كثيرة لا يحصي عددها إلا الـذي خلقه؛ فإن له على موازين العروض العربية سبعمائة قصيدة وعلى لغة العرب المنحرفة أربعمائة مقطوعة، وعلى موازين الشيخ عمر ابن الفارض ثلاثة آلاف مقطوعة، وعلـى مـوازين أبـي الحـسن الشـشتري ثمانمائـة مقطوعة، وعلى موازين الشيخ يوسف الجعرانـي خمسمائة قصيدة، وأما التي على عُرف البلد الملحونة لا يحصيها إلا الله عز وجـل وقـد فقـد الأكثر من كلامه ومقطوعاته في يوم قتل سيدي عمران بعد وفاة الشيخ بمدة نحو خمسة عشر عاما »[42].

انتشار الطريقة إبان حياته

قـام الإمـام الأسمـر بإنـشاء زاويـته سنة: 912 هـ على وجه التقريب، لتقوم بثلاثة أدوار أساسـية، دور علمي، ودور صوفي، ودور اجتماعي وما يهمنا في هذا البحث الدور الصوفي حيث أصبحت زاويته مرتكزا للطريقة العروسية وقبلة الفارين إلى الله وطالبيه.

وقـد انتـشرت الطـريقة العروسـية على يديه انتشارا منقطع النظير كما بشر بذلك الإمام ابن عروس، فلم يقتصر انتشار الطريقة العروسية على ليبيا فقط ولا الوطن العربي

=

40- علي بن عبد الله النميري أبو الحسن الشهير بالششتري قال عنه الشيخ زروق رضي الله عنهما: هو الشيخ العارف أحد الصوفية من أبناء الملوك صار من سادات الصوفية، كان يقرأ عليه القرآن والسنن، عارف بالحديث، دخل بجاية وأقام بها، وشيخه ابن سبعين، وهما ممن تكلم فيه، وقد استحسن مقطوعاته جماعة من أهل الفضل كابن عباد وغيره، قال عنه الغبريني ﷺ في عنوانه: هو الفقيه الصوفي عالم بالحكمة وطريق الصوفية متقدم في علم النظم والنثر، توفي ﷺ سنة 686 هـ.

41- الورع العالم الولي يوسف بن علي الجعراني المسلاتي كان رحمه الله إماما في علوم القرآن مقدما في علوم اللسان وله عدة تآليف منها شرح القرطبية وشرح الأجرمية.

42- سالم السنهوري، المصدر السابق، صفحة 26.

بل امتد إلى أقطار إسلامية عدة، فيحدثنا الشيخ عبد الرحمن المكي وهو أحد تلاميذ الإمام الأسمر عن ذلك فيقول: « وفي العام الثاني اجتمعت عنده ستة أركاب من المشارقة والمغاربة ... وقد شاع الخبر بالمشرق والمغرب عند الحجاج، وفي العام الثالث قد جاء خمسة آلاف من الشام ومصر وبغداد ومكة المشرفة والمدينة المنورة وأخذوا عنه العلوم والطريقة، وجاءه من المغاربة تسعمائة فقير وأخذوا عنه العلوم كالتوحيد والفقه والتصوف وكذلك الحزب والدرس ... وقد جاءه من الشام وبغداد »(43). كما أنها وصلت إلى وسط غرب أفريقيا علي أيدي مريديه وعلى رأسهم مريديه كبير قضاة تنبكتو الشيخ محمود العاقب أقيت وابن عمه الشيخ أحمد أحمد أقيت وهما من كبار علماء مدينة تنبكتو حيث إن مدينة تنبكتو في ذلك الوقت حاضرة العلم والعلماء في أفريقيا وهي اليوم إحدى مدن دولة مالي، كما أنها انتشرت شرقا حتى وصلت إلى بلاد الهند فقد تحدث عن هذا المعنى الشيخ عبد السلام بن عثمان بن عز الدين بن عبد الوهاب بن عبد السلام الأسمر في كتابه فتح العليم في مناقب سيدي عبد السلام بن سليم: « ومن هذا ما كنت أسمع وأنا صغير من أن الشيخ له ذرية وزاوية نحو بلاد الهند »(44).

والطريقة العروسية كانت تستقطب الخاصة من العلماء قبل العامة من الناس، ويرجع ذلك إلى رسوخ قدم الإمام الأسمر في الولاية، وسعة علمه، ودقة معرفته بطرائق الدعوة إلى الله، وكثرة ترحاله، وطول عمره الذي بلغ 101 سنة.

أسانيد الطريقة العروسية

للطريقة العروسية أسانيد عدة: (سند التلقين، سند لبس القلنسوة، سند لبس الخرقة، سند لبس المرقعة، سند المصافحة).

1. سند الإمام الأسمر في التلقين

تحدث الإمام الأسمر عن أخذه التلقين في كتابه الأنوار السنية والمنن البهية في طريق أهل الله الصوفية وبيّن مشارب الطريقة العروسية فقال: « قلت نحن أستاذنا وإمامنا وحيد وقته سيدنا ومولانا عبد الواحد الدوكالي المذكور قدس الله سره ونوره ونور

43- صغير عبد الرحمن المكي، المصدر السابق.

44- عبد السلام بن عثمان بن عزالدين بن عبد الوهاب، كتاب فتح العليم في مناقب سيدي عبد السلام بن سليم، مخطوط في مكتبة السيد الوالد مَحمد مختار جوان بزليتن.

ضـريحه وهو الذي اقتبسنا من نوره وسلكنا على منهاج آثاره وهو الذي أسرع بأسرارنا حتـى لقنـنا وفـتق ألـسنتنا حتـى نطقـنا بكـل حكمـة وغرس عرائس المعرفة في قلوبنا فأيـنعت ثمرتها وفاحت زهرتها وهو الذي بفضل الله ولا أعتمد في هذا الشأن إلا عليه، فمـن نـسبنا إلى غـيره في الإرادة فهـو بأمره جاهل أو عالم متجاهل إذ هو الذي أولاني رؤية الرسول ألفي مرة صلوات الله وسلامه عليه »[45].

مشارب الطريقة العروسية في التلقين

وللـتلقين في الطـريقة العروسـية عـدة مشارب عبر سلسلتها التي تمتد من الإمام الأسمر حتى سيدنا رسول الله ﷺ.

المشرب الأول: للإمام الشاذلي طريقتان فقد أخذ عن الإمام عبد السلام بن مشيش وهي طـريقة إرادة ولـه مشرب ثان فقد أخذ طريقة للتبرّك عن الشيخ أبي عبد الله بن علي بن حـرزهم. فقال الإمام الأسمر: « قيل إن لسيدنا أبي الحسن الشاذلي طريقتين طريقة إرادة وطريقة تبرك، فأما طريقة الإرادة فهو ما تقدم ذكره عن سيدي عبد السلام بن مشيش إلى سيدينا محمد رسول الله ﷺ عن جبريل عن رب العالمين، وأما طريقة التبرك فعن الشيخ أبي عبد الله محمد بن علي بن حرزهم ... إلخ »[46].

المـشرب الثانـي: للإمام فتح الله العجمي طريقتان وكل منها طريقة إرادة؛ الأولى أخذها عـن الإمـام ياقـوت العرشـي، وأمـا الطـريقة الثانـية فقـد أخذها بعد وفاة شيخه ياقوت العرشـي عـن الإمام صدر الدين الناكوري ويطلق عليها الإمام الأسمر الأدهمية نسبة إلى الإمام بن ادهم، فقال الإمام الأسمر: « ولنرجع إلى الكلام عن سيدي فتح الله العجمي فإنه لما توفي شيخه ياقوت العرش تتلمذ للشيخ صدر الدين الناكوري ودخل طريقته وخدمه مـدة بطـريق الإرادة كـالأولى وانتفع منه انتفاعا كبيرا ﷺ وأرضاه ونص كلامه: الحمد لله وصـلى الله علـى سـيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم يقول العبد الفقير لله فتح الله بن يوسـف العجمـي الخرسـاني لمـا توفي شيخنا كبير القدر ياقوت العرشي ﷺ ونفعنا به وبأسـراره آمـين أخـذت هـذه الطريقة الثانية الأدهمية على سبيل الإرادة عن الشيخ صدر الدين الناكوري ... إلخ »[47].

45- الإمام الأسمر، الأنوار السنية والمنن البهية، المصدر السابق، صفحة 5.

46- المصدر نفسه، صفحة 8.

47- المصدر نفسه، صفحة 9.

المشرب الثالث: وللإمام أحمد ابن عروس ثلاث طرق الأولى أخذها عن الإمام فتح الله العجمي وهي طريقة إرادة، والثانية أخذها عن الإمام محمد المجاهدي وهي تبرك، والثالثة أخذها عن سيدنا أحمد الخضر، فقال الإمام الأسمر: « ولسيدي أحمد ابن عروس المذكور طريقة أخرى أخذها بعد مفارقته لأستاذه فتح الله العجمي، وكان فيها شيخه سيدي محمد المجاهدي وهي تبرك لا إرادة ... وزاد ابن عروس بعد ذلك طريقة أخرى ثالثة عن سيدنا أحمد الخضر عليه السلام »(48).

2. سند الإمام الأسمر في الخرقة والقلنسوة

ألبسه الخرقة الإمام الدوكالي وهو ألبسه إياها سيدي أحمد بن عقبة الحضرمي ... إلخ. فقال في هذا الصدد: « ولنرجع إلى الكلام على شيخنا عبد الواحد الدوكالي المذكور وأستاذه في لبس الخرقة من سيدي أحمد بن عقبة الحضرمي ... »(49).

ولبس الإمام الأسمر الخرقة من شيخ آخر هو سيدي عبد الرحمن أبو جعفر من ذرية الشيخ الكبير أبي جعفر الكندي. فقال في هذا الصدد: « ثم لبست خرقة أخرى بجنزور ألبسني إياها سيدي عبد الرحمن أبو جعفر من ذرية الشيخ الكبير مولانا أبي جعفر الكندي ... إلخ »(50).

3. سند الإمام الأسمر في المرقعة

ألبسه إياها الإمام الدوكالي وهو لبسها من الشيخ عبد الدائم ابن عساكر ... إلخ. فقال الإمام الأسمر: « وأما المرقعة التي ألبسني إياها بعد القلنسوة قد لبستها من الشيخ عبد الدايم بن عساكر ... إلخ »(51).

4. سند الإمام الأسمر في المصافحة

قال الإمام إنه صافح شيخه الدوكالي وشيخه صافح والده العالم محمد الدوكالي ... إلخ. فقال الإمام الأسمر: « وأما سندي في المصافحة فأقول والله المستعان والمعطي

48- الإمام الأسمر، الأنوار السنية والمنن البهية، المصدر السابق، صفحة 10.

49- المصدر نفسه، صفحة 10.

50- المصدر نفسه، صفحة 13.

51- المصدر نفسه، صفحة 11.

الـرزاق بمـنة الإرشاد والتوفيق في الإتباع إلى سواء الطريق صافحني أستاذي عبد الواحد المذكور ...»[52].

وقـد قـام الإمـام الأسمـر بالترجمـة لـبعض مشايخ الطريقة العروسية في وصيته الكـبرى، كمـا قـام بذكـر مـشايخ الطـريقة العروسية في نظم سماه السلسلة الذهبية ابتدأ بنفـسه إلى أن وصـل إلى سـيدنا رسول الله ﷺ، كما ذكر هذه السلسلة منثورة في وصيته الكـبرى ووصـيته الـصغرى وكتابه الأنوار السنية والمنن البهية، ولم يبق من هذه الأسانيد اليوم إلا التلقين على حد علمي والله أعلم.

شروط الدخول في الطريقة العروسية

وجعـل الإمـام الأسمـر شـروطا للدخول في الطريقة العروسية دوّنها في وصيتيه الكـبرى والـصغرى فكـتب في وصـيته الـصغرى: «ومـن أتـاكم يـريد الدخول في هذه الطـريقة العروسـية فأمـروه بقـضاء مـا في ذمـته من كل ما ذكرناه، ومن لم يفعل قضاء الصلاة المفروضة والصيام والمظالم وغيرها فلا تقبلوه، فلا تقبلوه فلا تقبلوه قط، إنه تابع هـوى نفـسه، وحقـيقة إتـباع الهـوى هـو أن يشتغل المريد بالأوراد والفضائل ويترك ما أوجـب الله علـيه، ولا يـتعلم الواجـبات، فمـن كـان هكذا فلا تقبلوه قط بالكلية؛ لأنه لا يـصلح أبـدا، ومـن أقـام نفـسه في مقـام نـصيحة طريقتنا هذه، وإنه تابع الهوى والنفس، مـضيعا للفـرائض وعلـيه مظـالم ولا يـريد فعلها وقبله ذلك النصيح وأدخله في طريقتنا فـالله حـسيبه، وأكـون يـوم القيامة خصمه ... فاحذروا أنفسكم أن تقبلوا أحدا تابع هوى نفـسه لا يـؤدي الفرائض، بل لا تقبلوا إلا من تعلمون منه أنه يعمل بكل ما ذكرناه لكم، في هذه الوصية فافهموا»[53].

الطريقة العروسية بعد وفاة الإمام الأسمر

عـند مـا أحـس الإمام الأسمر بدنو أجله جمع حوله أصحابه وأولاده في خلوته وقـال: «مـرحبا بكـم يـا نعم الأصحاب والأحباب والأولاد إن الرحيل قد قرب من دار الدنيا إلى دار الآخرة ... إخواني أوصيكم بتقوى الله العظيم وبالإحسان للحاضر والغائب، وأعطـوا كـل ذي حـق حقه وارحموا الفقراء والمساكين واجبروا خاطر المجذوبين، وإذا

52- الإمام الأسمر، الأنوار السنية والمنن البهية، المصدر السابق، صفحة 13.

53- محمد مخلوف، الصدر السابق، صفحة 175

مـت يغسلني سالم بن طاهر، والذي يصب علي الماء عمر بن حجا ويكون إمامكم في الـصلاة علي سالم بن طاهر، فلما سمعنا ذلك منه بكينا بكاء شديدا وقلنا: يا قدوتنا ويا وسـيلتنا إلى ربـنا إذا فارقتـنا فمن يكون لنا بعدك يكشف كربتنا ويرينا ما يصلح بنا في أمـور دينـنا ودنـيانا. قـال: تركت لكم عمر بن جحا فهو الخليفة من بعدي، وسيكون له مقـام عظـيم وهـو باب من أبواب الله سبحانه وتعالى، فقال له بعضنا حتى أولاد صلبك مـن تحـت خلافـته، قـال إلا عمـران فإنـي قدمته على الزاوية، ثم جمع أولاده بين يديه ووضـع أيـديهم فـوق أيـدي بعـضهم وجعل يد عمران فوق الجميع ثم جعل يد سيدي عمـر بـن جحـا فـوق يـد سيدي عمران، وقال يا عمر أنت الأمير وعمران الوزير، فكره ذلـك سيدي عمران وسل يده، فقال له الشيخ إن لم تردها يا عمران لا تنال مني شيئا لَا في الدنـيا ولا في الآخرة، ثم خلا بسيدي عمر وأوصاه بأشياء كثيرة واختصه بما اختصه الله بـه مـن الـبركات»[54]. وهكـذا نـرى أن الإمـام الأسمر أوصى بالخلافة من بعده في الطـريقة للإمـام عمـر بـن جحـا ولم يـوص بها لابنه كما يحدث الآن في أغلب الطرق الصوفية مما سبب في ضعف تلك الطرق؛ لأن الابن قد يكون غير أهل لهذا المكان مما يؤدي إلى ضعف تلك الطريقة، ولكن من يكون عمر بن جحا؟ جاء في أفق الترجمة له في تنقـيح روضـة الأزهـار: «ومـنهم الإمـام القـدوة صاحب الكرامات الشهيرة والأحوال الزكية الأثيرة خليفة سيدي عبد السلام سيدي عمر بن محمد بن حمودة الطرابلسي مولدا ودارا المخزومـي نـسبا المعـروف بابن جحا، كان زاهدا عارفا بالله، قال في الأصل تولى تـربيتنا بعـد مـوت الـشيخ والقـيام بـشئوننا، فأحـسن في ذلـك واجتهد في تعليمنا العلم وأقـرأنا الوظائـف الـزروقية والعقائد السنوسية والأحزاب العروسية ... وكان سيدي عبد الـسلام يحـبه ويدعـو لـه مـدة حـياته ولا يرد له كلاما، وأمره بالتلقين مدة حياته، فلقن وتـبعه خلـق كـثير في حـياة الـشيخ وبعد مماته، وكان كثير العبادة وقد عاشرته مدة فما رأيـته مضطجعا على جنبه وإذا غلبه النوم وضع رأسه بين ركبتيه وهو أول من أخذ عن الـشيخ وسقاه بنظرة واحدة فوصله بها، ومن ذلك الوقت تبع الشيخ فحفظ القرآن ثم قرأ الـنحو والفقـه والتوحـيد والتـصوف إلى أن بلغ القطبانية وكان أمارا بالمعروف نهاءً عن المنكـر، يراعـي الظاهـر دون الباطن وله تأليفان كبيران في مناقب الشيخ ضاعا يوم قتل سيدي عمران تولى الخلافة بعد الشيخ إلى أن رحل إلى تونس ومات بها، ولد في محرم

54- محمد مخلوف، الصدر السابق، صفحة 208.

سنة 902 هـ وتوفي سنة 999 هـ »[55].

وهكـذا نـرى أن الإمام الأسمر قد عهد بمشيخة الطريقة إلى شيخ عالم عامل قد دربه على كيفية التلقين إبان حياته وتحت بصره، وتتلمذ على يديه أعداد غفيرة إبّان حياة الأمـام الأسمـر حتـى يطمئن على الطريقة بعد وفاته لأنه كان جزء من همه تربية الأمة، ولم يـسلمها لابـنه رغـم أن ابـنه كان عالما عاملا ولكن فرّغ ابنه عمران لإدارة المؤسسة العلمـية والـدور الاجتماعـي، وبهـده العبقـرية استطاع الإمام الأسمر أن يضمن استمرار الـزاوية في أداء الأدوار الـثلاثة التي وهب لها سني عمره وهي: إخراج الناس من الجهل وصناعة العلماء الذين ينيرون طريق العامة، وتربية النفوس للوصول إلى درجات الكمال البشري، ومساعدة المعوزين من أهل البلاد والمنقطعين عن أوطانهم.

بيان فضل الطريقة العروسية

وقـد تحـدث الإمـام الأسمـر عن أهمية الطريقة العروسية فقال: « اعلم أن الطريقة العروسـية هـي لـب الطـرق وأقـواها وأنفـذها إلى الله عـز وجـل فمـن سلكها وصل إليه مصحوبا بالسلامة محفوفا بالكرامة وهي طريق قويم وصراط مستقيم، جامعة بين الشريعة والحقـيقة ... إن الطـرق شتى والمعبود واحد، وقد أجمع القوم على الطريقة الشاذلية حتى قال مولانا عبد السلام: من لم يتشذل أحواله تتبدل والعروسية هي الشاذلية »[56].

« والطريقة الشاذلية[57] تحتها طرق: مرسية وماضوية ووفائية ودهمانية وزروقية،

55- محمد مخلوف، المصدر السابق، صفحة 229.

56- المصدر نفسه، صفحة 65.

57- الطريقة الشاذلية من أكثر الطرق الصوفية انتشارا وتفرعا اليوم وهي منسوبة إلى الإمام أبي الحسن الشاذلي يقول عنه صاحب المفاخر العلية ابن عياد: « وهو صاحب الإشارات العلية والعبارات السنية، جاء في طريق القوم بالأسلوب العجيب، والمنهج الغريب الذي جمع بين العلم والحال » وقد أخذ عنه فطاحلة عصره من علماء الظاهر وفي ذلك ويقول شارح القاموس المحيط السيد مرتضى الزبيدي صاحب تاج العروش في شرحه على حزب البر: « وممن كان يحضر مجلسه العز بن عبد السلام، وابن دقيق العيد، وناهيك بهما، والحافظ المنذري،وابن الحاجب، وبن الصلاح، وابن عصفور، وغيرهم بالكمالية من القاهرة». والنظرية الشاذلية في الغنى والفقر تفضل الغني الشاكر على الفقير الصابر، وتعلل ذلك بأن فضيلة في الدنيا فقط أما الشكر فإنه فضيلة في الدنيا والآخرة. نقلا عن الإمام عبد الحليم محمود من كتاب أبو الحسن الشاذلي الصوفي المجاهد والعارف بالله.

والمرسية هي العمدة وإليها ترجع العروسية»[58].

وأختم بما قاله أمام الطريقة العروسية الإمام عبد السلام الأسمر فيما يرويه عنه مريده الإمام سالم السنهوري في كتابه النور النائر فقال: إخواني فهذا شأن أهل الطريقة العروسية الراجعة إلى الشاذلية الذين أدركناهم وعاصرناهم كلهم عالمون عاملون زاهدون ذوو صدق في الإرادة والاستقامة في الطريق. قال شيخنا[59]: لا يبلغ المريد مقام الصدق حتى يزيد في تعظيم أمر الله ونهيه فيفعل المندوب كأنه واجب ويتجنب المكروه كأنه حرام ويتجنب الحرام كأنه كفر وينوي بجميع المباحات خيرا فينوي بالنوم في القيلولة الإعانة على قيام الليل، وينوي بالأكل التقوّي على العبادة وعلى تكسب الحلال، ويتناول بعض الشهوات للمداولة لنفسه إذا نفرتَ من العبادة فإن لسان حال النفس يقول لصاحبها كن معي في بعض أغراضي وإلا صرعتك، وينوي بلبس الثياب الفاخرة إظهار نعمة الله تعالى.

58- محمد مخلوف، المصدر السابق، صفحة 66.

59- يقصد الإمام الأسمر.